بسم الله الرحمن الرحيم

شرح كتاب
الموافقات للشاطبي

معالي الشيخ الدكتور
عبد الكريم بن عبد الله الخضير
عضو هيئة كبار العلماء
وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

تاريخ المحاضرة:	١٤٣٠/٠٣/١٢هـ	المكان:	

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

طالب: أحسن الله إليك.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد،

فيقول العلامة الإمام الشاطبي استكمالاً لما توقفنا عنده في المسألة العاشرة تحت النوع الرابع في بيان قصد الشارع في دخول المكلف تحت أحكام الشريعة:

"فصل: ومن الفوائد في هذا الأصل أن يُنظر إلى كل خارقة صدرت على يدي أحد، فإن كان لها أصل في كرامات الرسول -عليه الصلاة والسلام- ومعجزاته فهي صحيحة، وإن لم يكن لها أصل فغير صحيحة، وإن ظهر ببادئ الرأي أنها كرامة؛ إذ ليس كل ما يظهر على يدي الإنسان من الخوارق بكرامة، بل منها ما يكون كذلك ومنها ما لا يكون كذلك. وبيان ذلك بالمثال: أن أرباب التصريف بالهمم والتقربات بالصناعة الفلكية والأحكام النجومية، قد تصدر عنهم أفاعيل خارقة، وهي كلها ظلمات بعضها فوق بعض، ليس لها في الصحة مدخل، ولا يوجد لها في كرامات النبي ﷺ منبع؛ لأنه إن كان ذلك بدعاء مخصوص، فدعاء النبي ﷺ لم يكن على تلك النسبة، ولا تجري فيه تلك الهيئة، ولا اعتمد على قران في الكواكب، ولا التمس سعودها أو نحوسها، بل تحرى مجرد الاعتماد على مَن إليه يرجع الأمر كله واللجأ إليه، معرضًا عن الكواكب وناهيًا عن الاستناد إليها؛ إذ قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر» الحديث.

وإن تحرى وقتًا أو دعا إلى تحريه، فلسبب بريء من هذا كله: كحديث التنزل، وحديث اجتماع الملائكة طرفي النهار، وأشباه ذلك. والدعاء أيضًا عبادة لا يُزاد فيها ولا ينقص؛ أعني الكيفيات المستفعلة والهيئات المتكلفة والتي لم يُعهد مثلها فيما تقدم، وكذلك الأدعية التي لا تجد مساقها في متقدم الزمان ولا متأخره، ولا مستعمل النبي -عليه الصلاة والسلام- والسلف الصالح، والتي رُوعي فيها طبائع الحروف في زعم أهل الفلسفة ومن نحا نحوهم مما لم يَقل به غيرهم. وإن كان بغير دعاء كتسليط الهمم على الأشياء حتى تنفعل، فذلك غير ثابت النقل، ولا تجد له أصلاً؛ بل أصل ذلك حال حكمي وتدبير فلسفي لا شرعي.

هذا وإن كان الانفعال الخارق حاصلاً به، فليس بدليل على الصحة، كما أنه قد يتعدى ظاهرًا بالقتل والجرح؛ بل قد يوصل بالسحر والعين إلى أمثال ذلك، ولا يكون شاهدًا على صحته؛ بل هو باطل صرف وتعدٍّ محض، وهذا الموضع مزلة قدم للعوام ولكثير من الخواص، فلتنبه له".

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد،

فيقول المؤلف -رحمه الله تعالى- في كلامه على الخوارق والمعجزات والكرامات والتخييلات والمخارق الشيطانية، شيخ الإسلام له كتاب يفرق بدقة بين هذه الأمور واسمه: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان. السنن الإلهية جارية على وتيرة واحدة، لا تتغير ولا تتبدل؛ هذا هو الأصل، لكن قد تُخرق هذه السنن معجزة لنبي أو كرامة لولي. فالأصل أن النار محرقة، لكن الله جعلها على إبراهيم بردًا وسلامًا. والأصل أن العصا جماد لا تتحرك، ولكن الله قلبها لموسى -عليه السلام-. والأصل أن الإحياء والإماتة بيد الله -جل وعلا-، ولكن حصل شيء من ذلك على يد عيسى- عليه السلام-.

فالمقصود أن خرق السنن الإلهية لا يكون إلا على يد نبي يدعي النبوة؛ وتسمى معجزة حينئذ، أو كرامة لولي يثبت لها الله -جل وعلا- الولي، على ما تقدم ذِكره، وإن كانت قد تحصل لشخص، ولا تحصل لمن هو فوقه بالمرتبة؛ لأنها ليست دلالة على أنه أفضل عن غيره باطراد، لكن هذا قد يحتاج إليها، وذاك لا يحتاج إليها، ومع هذا الفارق بينه وبين ما يُدعى من الخوارق على ألسنة من عُرف بمخالفة الكتاب والسنة هذه ليست كرامات، وإنما هي مخارق شيطانية وتلبيسات إبليسية، وإن ادعاها من ادعاها أنها كرامات لأولياء، العبرة بالولي عرض عمله على الكتاب والسنة.

كثير ممن تُدعى له الولاية هو أبعد الناس عن الكتاب والسنة، وهناك كتب في كرامات الأولياء في مجلدات، منها ما طُبع في مجلدين كبار، يعني لو طُبع بالطبعات الحديثة مثل هذا يمكن أن يزيد على عشرة، وهي كلها دعاوى وأعمال شيطانية يستعين بها هذا الذي ادعيت له الولاية؛ لأن عمله على خلاف ما جاء عن الله وعن رسوله -عليه الصلاة والسلام-. فالفارق بين ما يحصل من الكرامات، المعجزة هذه مقرونة بدعوى النبوة، لا يمكن أن يحصل ما يخرق العادة مع ادعاء النبوة؛ لأنه يحصل اللبس على الناس بهذا لو حصلت هذه ما يدعيه الشخص مع أنه يدعي النبوة وليس بنبي حقيقة هذا حصل بالنسبة للناس لبس ولم يستطيعوا أن يفرقوا بين الدعوة الصحيحة من الباطلة. ما يحصل على يد غير الأنبياء قد يحصل ما يخرق السنة الإلهية، فإن كانت على يد من عمله موافق للكتاب والسنة فهي كرامة، وحصلت للأولياء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم، وسبق ذكر شيء منه. وإن كانت على يد من عمله مخالف لما جاء عن الله وعن رسوله، فهذه -نسأل الله العافية- من الشياطين تستدرج بها هذا الإنسان، كما أنها تكون سببًا لضلال غيره على يده.

هناك أمور مستحدثة يحتار فيها العقل، مدة ثم تتبين حقيقتها، والناس أعداء لما يجهلون، فأول ما يحصل هذا الأمر المحير تجد أهل التحري والتوقف يتوقفون فيه، وأهل العجلة يحكمون عليه.

على كل حال: أول ما صُنعت الساعة وصارت تتحرك بدقة وتضبط الأوقات، حصل ما حصل من الكلام فيها، وهكذا سائر الاختراعات، وهناك أمور تخييلية وتمويه على أعين الناس تحصل

على يد من يتعامل مع الشياطين. الكيمياء وحقيقتها في السابق تختلف عن حقيقتها الموجودة الآن. ضرب من السحر، تقلب الجواهر إلى أضدادها، تكلم عليها أهل العلم. بعض الألعاب التي توجد على يد من يُدعى له الاحتراف، وهي في الحقيقة استعانات بشياطين لا حقيقة لها، مع الأسف أنها تُقر في بعض بلدان المسلمين ويشاهدها فئام من الناس على أنها خفة واحتراف وتحصل بالاكتساب، وهي في الحقيقة استعانة بشياطين وإضلال للناس؛ لأنك تجد الإنسان هذا الذي يُدعى له الخفة والاحتراف يطير، وأحيانًا يتعلق بالسقف، وأحيانًا يخرج من جيبه شيء يموه به على الناس وهو في الحقيقة لا شيء.

فالمقصود أن مثل هذه موجودة ومقررة -مع الأسف- في بعض المجتمعات الإسلامية، وتشاهد على أنها حركات احترافية تحصل أو تُدرك بالتمرين. لا شك أن المران له نصيبه وله، ويختلف المتمرن عن غيره، لكن بحدود ما يطيقه البشر، أما ما لا يطيقونه فهذا لا شك أنه استعانة وإعانة من الشياطين، نسأل الله السلامة والعافية.

المؤلف -رحمة الله عليه- يقول: "**ومن الفوائد في هذا الأصل أن يُنظر إلى كل خارقة صدرت على يد أحد، فإن كان لها أصل في كرامات الرسول ﷺ ومعجزاته فهي صحيحة**"، قد يحصل لإنسان أن يستعين بشياطين وهؤلاء الشياطين يحملونه من مكان إلى مكان، كما يحصل من بعض أولياء الشيطان من أنه يُحمل يوم عرفة ويشهد الموقف مع الناس، ويرجع إلى أهله يضحي معهم.

لو قلنا بالكلام الذي قاله المؤلف -رحمه الله- والمسألة دقيقة، وتحتاج إلى شيء من التمييز بدقة، يقول: "**فإن كان لها أصل من كرامات الرسول ﷺ ومعجزاته فهي صحيحة**". طيب، نقول: الرسول أُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فلا مانع أن يُسرى بالشخص من الرياض إلى الأماكن المقدسة ويُرجع به في قوم! يعني هل الضابط الذي ذكره المؤلف منضبط؟ هذا ليس بمنضبط، لكن ينبغي أن ينظر إلى هذا الشخص الذي ادعى ذلك، فإن كانت له الولاية الحقة لعمله بالكتاب والسنة، واحتاج إلى مثل هذه الكرامة من أجل إقناع من يخالفه ويعارضه من أجل الدعوة ومصلحة الدعوة لا لمصلحة خاصة، فعمر -رضي الله عنه- قال: يا سارية الجبل، وبينه وبينه مفاوز.

"**وإن لم يكن لها أصل فغير صحيحة، وإن ظهر ببادئ الرأي أنها كرامة**"، أنا أقول: الضابط الدقيق أن يُنظر في عمل الشخص وفي إخلاصه، هل عمله موافق للكتاب والسنة؟ وهو مخلص في عمله لله -جل وعلا- وماشٍ على ما كان عليه النبي -عليه الصلاة والسلام- وأصحابه؟ فلا مانع من أن تقع على يده الكرامة، وحصل لجمع من الصحابة شيء من ذلك ومن التابعين عند احتياجهم إلى ذلك، وإن كان عمله مخالفًا لما جاء عن الله وعن رسوله فليست بكرامة، بل هي

استدراج وإعانة واستعانة بالشياطين، إذًا ليس كل ما يظهر على يدي الإنسان من الخوارق بكرامة.

"**إذ ليس كل ما يظهر على يدي الإنسان من الخوارق بكرامة، بل منها ما يكون كذلك ومنها ما لا يكون كذلك. وبيان ذلك بالمثال: أن أرباب التصرفات بالهمم والتقربات بالصناعة الفلكية والأحكام النجومية، قد تصدر عنهم أفاعيل خارقة**"، هؤلاء الذين يتصرفون بالهمم، ما معنى "**بالهمم**"؟ هي في نهايتها شياطين، لكنه يدعي أنه انصرف بكليته إلى هذا العمل، وحينئذ لا بد أن يتحقق على يديه، لكنه مع ذلك في واقعه استدراج شياطين.

"**التقربات بالصناعة الفلكية والأحكام النجومية قد تصدر عنهم أفاعيل خارقة**". نعم. الاستعانة والاعتقاد بالنجوم والأفلاك، هي في حقيقتها استعانة بالشياطين الذين يوصلونهم قد يوصلونهم إلى شيء مما يخفى على عموم الناس، وهذا من الابتلاء، قد رأى شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- أن الإنسان قد يدعو شخص وهو في قبره فيُرد عليه، ثم يزعم أن الذي رد عليه هذا الولي، ووعده بقضاء حاجته، والذي رد عليه شيطان. وفي هذا الأمر دقة وخفاء، حتى إن شيخ الإسلام قال: إن الشيطان قد يتلبس ببعض الأولياء، ويظهر بصورته ويضل الناس، وذكر أنه حصل له شيء من ذلك وأنه جاءه من يقول: أنت قلت لنا كذا، قال: ما قلت لكم. فالشيطان للإنسان عدو، فليتخذه الإنسان عدوًّا كما أمره الله -جل وعلا-، وعلى الإنسان أن يتمسك ويعتصم بالكتاب والسنة، وإلا إن انساق وراء هذه الأوهام وهذه الأمور لن يفيق حتى يرى أنه قد تلبس بالشرك الأكبر، نسأل الله السلامة والعافية.

قال: "**وهي كلها ظلمات بعضها فوق بعض، ليس لها في الصحة مدخل، ولا يوجد لها في كرامات النبي ﷺ منبع**"؛ لأنه إذا كان ذلك بدعاء مخصوص، إن كان يدعو أدعية ثم يحصل له ما يحصل، فدعاء النبي -عليه الصلاة والسلام- لم يكن على تلك النسبة، يعني ما ذُكر أن في الأدعية النبوية: اللهم اجعلني أمشي على الماء، أو أمشي على الجمر، أو أطير على الهواء؛ هذا كله اعتداء. وما يحصل من الرياضات التي يسمونها بأسماء عصرية، وأن الإنسان بإمكانه أن يمشي على الجمر ولا يضره؛ هذا كله من هذا النوع. والإشكال أنها تؤخذ لها تراخيص رسمية، ويزاولها بعض من قد يزاولها بعض من ينتسب إلى العلم، وهي في حقيقتها من هذا النوع. السنة الإلهية أن النار محرقة، هذه المطردة، خُرمت لإبراهيم -عليه السلام- هذه السنة، فهل يستطيع الإنسان ممن يزاول هذه الأعمال أن يقول: إني وصلت إلى منزلة تُخرم لي السنة الإلهية فأكون مثل إبراهيم؟ والله المستعان.

طالب: ما ورد.....

دهون دهون، أدهنة.

طالب:.....

ما خُرقت، ما خُرقت.

طالب:.....

لا لا، هذه موانع، السنة لها أسباب، ولها موانع.

طالب:.....

نعم، هذه موانع من نفوذ النار إلى البدن.

"**ولاعتمد على قران في الكواكب**"، يعني إذا اقترن الكوكب الفلاني بالفلاني حصل كذا أم حصل كذا، لا ما حصل منه -عليه الصلاة والسلام-.

"**ولالتمس سعودها أو نحوسها**"، هذا صنيع المنجمين وليس بصنيع الرسول -عليه الصلاة والسلام- ومن يتبعه.

"**بل تحرى مجرد الاعتماد على مَن إليه يرجع الأمر كله**"، بل اعتمد على التوكل على الله- جل وعلا-.

"**معرضًا عن الكواكب وناهيًا عن الاستناد إليها؛ إذ قال**" النبي -عليه الصلاة والسلام- لما انفتل من صلاة الصبح إثر سماع إثر المطر نزل، قال: «أتدرون ماذا قال الله -جل وعلا-؟ قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فمن قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته؛ فهو مؤمن بي كافر بالكوكب، ومن قال: مُطرنا بنوء كذا وكذا؛ فهو كافر بي مؤمن بالكوكب»، نسأل الله العافية.

"**الحديث، وإن تحرى وقتًا أو دعا إلى تحريه، فلسبب بريء من هذا كله: كحديث التنزل، وحديث اجتماع الملائكة طرفي النهار، وأشباه ذلك**". يعني إن تحرى وقت جاء فيه نص وأجيبت دعوته، فليس من هذا الباب؛ لأنه دعا بدعاء موافق لما جاء عن الله وعن رسوله، وعن الأقل ليس فيه مخالفة ولا فيه اعتداء ولا قطيعة رحم، وتحرى وقتًا مناسبًا تُستجاب فيه الدعوة؛ فأجيبت، ليس من هذا النوع.

"**وأشباه ذلك**". قال: "**والدعاء أيضًا عبادة لا يُزاد فيها ولا ينقص؛ أعني الكيفيات المستفعلة والهيئات المتكلفة والتي لم يُعهد مثلها فيما تقدم**". "**لا يزاد فيها ولا ينقص**"، يعني أن الدعاء هل هو توقيفي أو اجتهادي على ألا يأتي إليه يكون فيه مخالفة؟ الأذكار التعبدية هذه توقيفية، والأذكار التي رُبطت بأسباب والأدعية المربوطة بأسبابها هذه اجتهادية. يعني هل حُفظ عن الرسول -عليه الصلاة والسلام- أنه قال: اللهم ارزقني امرأة صالحة أو دابة عملاجة أو بيتًا فسيحًا أو شيئًا من هذا؟ هل نقول: إن الإنسان ممنوع من هذا الدعاء؟ هو بحاجة إلى هذه الأشياء فدعا بها، وقد أُمرنا أن نسأل الله -جل وعلا- أي شيء، حتى شسع النعل إذا انقطع نسأل الله -جل وعلا- أن يعين على إصلاحه.

فقوله: "**والدعاء أيضًا عبادة لا يزاد فيها ولا يُنقص**"، يعني عما قعده الشرع وحده، لا عن الألفاظ التي تُرتب على أسباب تقال عند وجودها.

"**وكذلك الأدعية التي لا تجد مساقها في متقدم الزمان ولا متأخره، ولا مستعمل النبي -عليه الصلاة والسلام- والسلف الصالح**"، نعم هناك تركيبات وأدعية رُكبت ورتبت على أنها مشروعة، وهي لا أصل لها، وإذا نظرت في مفرداتها وجدت ما فيها شيء، لكن التعبد بها على هذا النسق وهذه الكيفية أو في هذا الزمان أو في هذا المكان هو المحظور.

"**والتي رُوعي فيها طبائع الحروف في زعم أهل الفلسفة ومن نحا نحوهم مما لم يَقل به غيرهم**"، نعم الفلاسفة لهم طريقه في أدعيتهم، لا سيما إذا اقترن التصوف بالفلسفة، كما هي طريقة أبي حامد الغزالي ومن نحا نحوه، فإن هذه قد يحدث فيها من البدع الشيء الكثير؛ ولذا يجدون في الإحياء إحياء علوم الدين كثير من هذا النوع مما لم يرد به دليل.

"**وإن كان بغير دعاء كتسليط الهمم على الأشياء حتى تنفعل، فذلك غير ثابت النقل**"، بعضهم يرى يحول بعض الأشياء على حد زعمه بالاتجاه إليه بصرف الهمة نظير ما يقع من العائن، إذا اتجهت همة صاحب النفس الدنيئة الرديئة الشريرة إلى شيء وأصابته عينه بإذن الله -جل وعلا- وبتقديره، هم يقولون: نحن نفعل أكثر من ذلك، ونحول المادة من شيء إلى شيء. وكل هذا من تصرفات الشياطين، والإنسي الذي يقول هذا الكلام مجرد واجهة.

"**بل أصل ذلك حال حكمي وتدبير فلسفي لا شرعي. هذا وإن كان الانفعال الخارق حاصلاً به، فليس بدليل على الصحة**"، يعني لو وُجد من يقلب هذا الحجر ذهب أو فضة، أو هذه المادة كذا أو كذا؛ فهذا ليس بدليل صحيح يعتمد عليه. قد يقول قائل: إن الواقع والحس يشهد بذلك؟ نقول: إن الواقع والحس قد يخيل إليه ما ليس بحقيقة، وإذا كانت الآلات آلات التصوير تنقل مثل هذه التخييلات، فكيف بالعين المجردة؟ يعني آلات التصوير تنقل هذه التخييلات. وشخص وهو من أهل العلم ذهب إلى دولة شرقية ليعالج عينيه، ونشرت الصحف التقرير للتحذير من هذا العمل، قال: إنه ذُكر له طبيب يعالج من العمى في الفلبين، وذهب إليه هذا، يقول: دخلنا مع باب، ولا نستطيع الرجوع إليه نخرج من باب آخر؛ لئلا نلتقي بالأشخاص الذين هم في الانتظار فنخبرهم بما حصل. يقول: أجلسني على كرسي، فأدخل آلة وأخرج العين كاملة ووضعها على الطاولة والثانية كذلك، ثم وضع ما وضع ثم أعادهما من دون عمليات ومن دون شيء، ثم قلت له -والذي معه يصور الواقع-، ثم قلت له: إن ظهري فيه ألم، فجاء بالمشرط فشرطه بدون دم وبدون شيء، وصاحبه يصور، ثم مسحه بيده فالتحم.

هذه أعمال شيطانية، فإذا كانت مثل هذه الأعمال قد تخفى على هذه الآلات وتصورها، فكيف بالعين المجردة؟ وهذا مما يؤيد قول الجمهور في أن السحر له حقيقة، ويفعل في الأعيان ما يفعل، خلافًا للحنفية الذين يقولون: مجرد تخييل. والحقيقة أن منه ما هو تخييل، ومنه ما هو حقيقة.

"كما أنه قد يتعدى ظاهرًا بالقتل والجرح؛ بل قد يوصل بالسحر والعين إلى أمثال ذلك، ولا يكون شاهدًا على صحته؛ بل هو باطل صرف وتعدٍّ محض، وهذا الموضع مزلة قدم للعوام ولكثير من الخواص، فلتنبه له". يعني فلتتنبه له. نعم، في كثير من الأمور التي يُدعى فيها الخفة، وينازع فيها الناس بعضهم بعضًا، هذه الأمور يجب منعها والحكم على جميعها بالتحريم؛ لأنه وإن كان هناك في بعض القضايا شوب صحة وصواب، إلا أنه إذا التبس الحق بالباطل وجب منع الجميع، يجب منع الجميع.

نعم.

طالب: "فصل: ومنها أنه لما ثبت أن النبي ﷺ حذر وبشر، وأنذر وندب، وتصرف بمقتضى الخوارق من الفراسة الصادقة والإلهام الصحيح، والكشف الواضح والرؤيا الصالحة؛ كان من فعل مثل ذلك ممن اختص بشيء من هذه الأمور على طريق من الصواب، وعاملاً بما ليس بخارج عن المشروع، لكن مع مراعاة شرط ذلك، ومن الدليل على صحته زائدًا إلى ما تقدم أمران".

لكن ينبغي أن يقيد هذا بمن كان عمله بمقتضى ما جاء عن الله وعن رسوله، يكون قدوته النبي -عليه الصلاة والسلام-، ولا يحيد في ذلك عن ذلك الصراط المستقيم قيد أنملة؛ لأنه إذا حاد عوقب بما هو أشد منه، ثم يعاقب مرة ثانية بما هو أشد، إلى أن يجد نفسه خارجًا عن الصراط بالكلية؛ وهذا ما حصل لكثير ممن تُدَّعى له الولاية، تجده في أول الأمر يقول شيئًا سهلًا، ثم ينساق وراءه فيعاقب بما هو أشد. يعني مثل ما قلنا مرارًا: ممن تُدعى له الولاية وصل إلى حد يقول فيه: سبحان ربي الأسفل! وتدعى له الولاية، وممن تُدعى له الولاية ويعادى ويوالى من أجله من قال: ألا بذكر الله تزداد الذنوب، وتنطمس البصائر والقلوب! ولي من أولياء الله، أين هو عند أتباعه؟ وهل يمكن أن يقال: إن هذه أول كلمة قالها؟ لو يقولها قبل أن يشتهر أمره بين أتباعه كان يُقتل لو قال: سبحان ربي الأسفل، لكنه بالتدريج ضحك على الناس شيئًا فشيئًا، وعوقب بما هو أشد، إلى أن وصل إلى هذه الحال، نسأل الله السلامة والعافية.

طالب: "أحدهما: أن النبي ﷺ قد عمل بمقتضى ذلك أمرًا ونهيًا، وتحذيرًا وتبشيرًا وإرشادًا، مع أنه لم يذكر أن ذلك خاص به دون أمته، فدل على أن الأمة حكمهم في ذلك حكمه، شأن كل عمل صدر منه ولم يثبت دليل على الاختصاص به دون غيره".

لأن الأصل الاقتداء، فهو الأسوة وهو القدوة، وكل ما يصدر عنه يقتدى به: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} [الأحزاب: ٢١]، هذا الأصل، لكن إذا دل الدليل على اختصاصه- عليه الصلاة والسلام- بهذا الأمر فإنه لا يجوز أن يُتعدى.

طالب: "ويكفي من ذلك ما ترك بعده في أمته من المبشرات، وإنما فائدتها البشارة والنذارة التي يترتب عليها الإقدام والإحجام. وقد قال -عليه الصلاة والسلام- لعبد الله بن عمر في رؤياه الملكين وقولهما له: «نعم الرجل أنت لو تكثر الصلاة»، فلم يزل بعد ذلك يكثر الصلاة".

وجاء من قوله -عليه الصلاة والسلام-: «نعم الرجل عبد الله لو كان يقوم من الليل، فكان -رضي الله عنه- لا ينام من الليل إلا قليلاً».

طالب: "وفي رواية: فقال رسول الله ﷺ: «إن عبد الله رجل صالح لو كان يكثر الصلاة من الليل»، وقال -عليه الصلاة والسلام- لأبي ذر: «إني أراك ضعيفًا، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمَّرن على اثنين، ولا تولَّين مال يتيم»".

لكن هل هذا مما هو بصدد الحديث عنه؟ يعني لو كان الحديث عن أمر مستقبل مغيب صار الكلام صحيحًا، لكنه يتحدث عن واقع: "«إني أراك ضعيفًا، وإني أحب لك ما أحب لنفسي»"، يعني ضعفه محسوس وملموس، وكذلك صلاح عبد الله وغيره مما يستحق به المدح ظاهر ومحسوس، وكونه لا يقوم من الليل قد يكون علمه النبي -عليه الصلاة والسلام- بطريقة أو بأخرى؛ فليس من هذا النوع.

طالب: "وقوله لثعلبة بن حاطب وسأله الدعاء له بكثرة المال: «قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه»".

هذا من وجه ممكن، ومن وجه مثل سابقَيْه؛ من وجه أنه تحدث عن أمر مستقبل في حال ما إذا كثر المال عنده مستقبلاً قد لا يطيقه، إن كان توقعًا وغلبة ظن فهذا ما فيه إشكال ولا يدخل في الذي معنا. إن كان يخبر عن واقع وأن هذا واقع ثعلبة بن حاطب، وأنه إذا حصل له شيء من المال فإنه لا يطيقه، على أن الخبر فيه ما فيه.

طالب: "وقال لأنس: «اللهم كثر ماله وولده»، ودل -عليه الصلاة والسلام- أناسًا شتَّى على ما هو أفضل الأعمال في حق كل واحد منهم، عملاً بالفراسة الصادقة فيهم".

ولذا جاءت أجوبته -عليه الصلاة والسلام- عمن سأل عن أفضل الأعمال، أسئلة كثيرة بهذه الصيغة، ويجاب كل واحد بما يناسبه، يتفرس فيه النبي -عليه الصلاة والسلام- أنه فيه قوة على الأعمال المتعدية، فيمدح له هذه الأعمال، ويتفرس في فلان أنه عمله الخاص وعبادته الخاصة، يعني أغلب عليه من الأعمال الأخرى فيمدح له هذه الأعمال، وهكذا.

طالب: "وقال: «لأعطين الراية غدًا رجلاً يفتح الله على يديه»".

هذا إخبار عن مستقبل، وهو مغيَّب.

طالب: "فأعطاها عليًّا -رضي الله عنه-، ففتح الله على يديه"، لكن يا شيخ هل هذا من الوحي أم من الفراسة؟

يحتمل أنه بوحي من الله -جل وعلا-، ويحتمل أنه تفرس في علي أن الله يفتح على يديه. نعم.

طالب: "وقال لعثمان بن عفان: إنه «لعل الله أن يقمصك قميصًا، فإن أرادوك على خلعه، فلا تخلعه»".

المراد بالقميص الولاية. نعم.

طالب: "فرتب على الاطلاع الغيبي وصاياه النافعة، وأخبر أنه ستكون لهم أنماط، ويغدو أحدهم في حُلة، ويروح في أخرى، وتوضع بين يديه صحفة وترفع أخرى، ثم قال آخر الحديث: «وأنتم اليوم خير منكم يومئذ»، وأخبر بملك معاوية ووصاه، وأن عمارًا تقتله الفئة الباغية، وبأمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها، ثم وصاهم كيف يصنعون".

هذا لا يتحتم فيه أنه فراسة منه -عليه الصلاة والسلام-، وإنما أخبره الله -جل وعلا- بما سيحصل، كما أخبره بكثير من أشراط الساعة وعلاماتها.

طالب: "ثم وصاهم كيف يصنعون، وأنهم سيلقون بعده أثرةً، ثم أمرهم بالصبر، إلى سائر ما أخبر به -عليه الصلاة والسلام- من المغيبات التي حصلت بها فوائد الإيمان والتصديق، والتحذير والتبشير، وغير ذلك وهو أكثر من أن يحصى.

والثاني: عمل الصحابة -رضي الله عنهم- بمثل ذلك من الفراسة والكشف والإلهام والوحي النومي، كقول أبي بكر: إنما هما أخواك وأختاك. وقول عمر: يا سارية! الجبل. فأعمل النصيحة التي أنبأ عنها الكشف. ونهيه لمن أراد أن يقص على الناس، وقال: أخاف أن تنتفخ حتى تبلغ الثريا".

نعم، بعض الناس يتأثر بالمدح وبكثرة الأتباع، وتجده إذا صار له حضور أصابه من الغرور والعُجب ما يصيبه، فمثل هذا يُصرف عن هذا العمل إلى غيره مما هو أنفع له، وإن كان الترك -كما ذكرنا مرارًا- أنه ليس بعلاج، وإنما العلاج معالجة القلب والسعي في تصحيح النية.

طالب:.....

الأظهر أنه بعد الوقت؛ لأنه قال: صل أنت، ثم صل معه تكن لك نافلة.

طالب:.....

بعضهم يؤخرها إلى خروج وقته.

طالب: "وقوله لمن قص عليه رؤياه أن الشمس والقمر رآهما يقتتلان، فقال: مع أيهما كنت؟ قال: مع القمر. قال: كنت مع الآية الممحوة، لا تلي لي عملاً أبدًا".

طالب: "ويكثر نقل مثل هذا عن السلف الصالح ومن بعدهم من العلماء والأولياء نفع الله بهم، ولكن يبقى هنا النظر في شرط العمل على مقتضى هذه الأمور، والكلام فيه يحتمل بسطًا، فلنفرده بالكلام عليه، وهي: المسألة الحادية عشرة".

نقف هنا، اللهم صل على محمد. نعم.

طالب: هل يمكن يا شيخ.....

يمكن أن يعان ويمكن أن يوقظ للصلاة ويمكن أن... نعم.

طالب:.....

لكن من غير استعانة، أما من استعان بهم فلا تجوز بحال.

طالب:.....

لا، هذه وسيلة من الوسائل الموصلة إلى الشرك؛ لأنهم لا يعينونهم بدون مقابل، وإن أعانوه في أول الأمر، فما يقدم له شيئًا في أول الأمر، لكنه لا بد أن يُستدرك ثم يقع كما وقع غيره في الشرك، علمًا بأن الاستعانة بهم من خواص سليمان -عليه السلام-: {وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي} [ص: ٣٥]، والنبي -عليه الصلاة والسلام- لما أراد أن يوثق الجني الذي تفلت عليه في صلاته تذكر دعوة سليمان، كما في البخاري، فتركه.